## الباحث

فاطمة جمعة سلمان

أ.م.د. جعفر اصغر عباس

# حملة سنان باشا ١٥٦٩-١٥٧١م ، وتأسيس ادارة عثمانية جديدة في اليمن

## Researcher

Fatima Juma Salman

Asst. Prof. Dr. Jaafar Asghar Abbas

# The Campaign of Sinan Pasha 1569-1571 AD, and the Establishment of a New Ottoman Administration in Yemen

## معلومات الباحث

**اسم الباحث الأول:**
فاطمة جمعة سلمان
**البريد الالكتروني:**
athm22012@uokirkuk.edu.iq

**الاختصاص العام:** تاريخ
**الاختصاص الدقيق:**
تاريخ الحديث والمعاصر
**القسم: التاريخ**
**الكلية: الآداب**
**الجامعة: كركوك**
**البلد: العراق**
**اسم الباحث الثاني:**
**ا.م.د. جعفر أصغر عباس**
**البريد الالكتروني:**
jaafar_abbas@uokirkuk.edu.iq
**الاختصاص العام: تاريخ**
**الاختصاص الدقيق:** تاريخ الحديث
**الكلمات المفتاحية:** الدولة العثمانية، اليمن، سنان باشا، الزيديون، البحر الأحمر، المطهر الزيدي
**معلومات البحث:**
**تاريخ الاستلام البحث:** ٢٠٢٥/٦/١١
**القبول:** ٢٠٢٥/٦/٢٣
**التوفر على الانترنت:** ٢٠٢٥/٨/١

جمهورية العراق وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/جامعة كركوك/كلية الآداب/مجلة آداب كركوك

## عنوان البحث

حملة سنان باشا ١٥٦٩-١٥٧١م ، وتأسيس ادارة عثمانية جديدة في اليمن

## ملخص البحث

أظهر سنان باشا الذي عين قائدا لحملة عثمانية كبيرة في سنة ١٥٦٩م لاستعادة السيطرة العثمانية على اليمن ، أظهر حنكة سياسية ومقدرة عسكرية عالية ، واستطاع خلال عدة اشهر من استعادة زمام الأمور في مناطق اليمن الوسطى والجنوبية لصالح العثمانيين ، والحاق الهزيمة بالقوات الزيدية التي كانت تمثل التحدي الأكبر في وجه الاستقرار العثماني في اليمن ، وأثناء الزحف نحو المنطقة الشمالية ذات الكثافة الزيدية والتضاريس الصعبة واجه سنان باشا صعوبة بالغة في اخضاع تلك المناطق ، عندئذ ركن الى أسلوب التفاوض والمهادنة مع الزيديين ، فتم عقد الصلح بين الطرفين في ٢١ أيار ١٥٧٠م ، تضمن خضوع الزيديين للسلطة العثمانية مقابل الاعتراف بنفوذهم في مناطقهم ، وبذلك سادت اليمن أطول مرحلة هدوء ضمن نتائج هذه الحملة

Kirkuk Journal of Arts, Number (2), Volume (1), June\ 2025

## Researcher information

**1st. Researcher**:
Fatima Juma Salman
**E-mail**:
athm22012@uokirkuk.edu.iq
**General specialty**: History
**Exact specialization:**
**Department:** History
**College:** Arts
**University**: Kirkuk
**Country**: Iraq
**2st. Researcher:**
Prof. Dr. Dilshad Oumar Abdul Aziz
**E-mail:** jaafar_abbas@uokirkuk.edu.iq
**General specialty**: History
**Exact specialization**:
**Department:** History
**College**: Arts
**University**: Kirkuk
**Country**: Iraq
**Key words**: Ottoman Empire, Yemen, Sinan Pasha, Zaidis, Red Sea, Al-Mutahhar al-Zaydi
**Search information**
**Search Receipt history:** 3/6/2025
**Acceptance**: 23/6/2025
**Online availability:**1/8/2025

college of Arts / Kirkuk University / Republic of Iraq Ministry of Higher education and scientific research

## The Title

**Ottoman Empire, Yemen, Sinan Pasha, Zaidis, Red Sea, Al-Mutahhar al-Zaydi**

## Abstract

Sinan Pasha, appointed commander of a large Ottoman campaign in 1569 to restore Ottoman control over Yemen, demonstrated great political acumen and high military capability. Within a few months, he managed to regain control over central and southern Yemen for the Ottomans and dealt a defeat to the Zaydi forces, who posed the greatest challenge to Ottoman stability in Yemen. During the advance toward the northern region, which had a dense Zaydi population and difficult terrain, Sinan Pasha encountered significant difficulty in subduing the area. He then resorted to negotiation and conciliation with the Zaydis, leading to a peace agreement on May 21, 1570. This agreement entailed the submission of the Zaydis to Ottoman authority in exchange for recognition of their influence in their own regions. As a result, Yemen experienced its longest period of peace during the aftermath of this campaign

## ١. المقدمــة

إن نجاح العثمانيين في السيطرة على بلاد الشام ومصر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي جعلهم يبحثون عن مناطق أخرى من أجل التوسع والسيطرة ، فاتجهت أنظارهم نحو بلاد اليمن التي كانت تتمتع بموقع استراتيجي مهم ، وكانت تعد منطقة دفاعية مهمة لحماية حدودهم الجنوبية ، كما أن الاستيلاء على اليمن وفرض السيادة العثمانية عليها سيضمن لهم حماية الأماكن المقدسة وسلامتها من الأخطار التي كانت تحدق بها ، والتصدي للخطر البرتغالي من جهة ، والتحكم بالبحرين الأحمر والعربي من جهة أخرى ، لذلك شكلت اليمن أهمية بالغة للدولة العثمانية . يتناول هذا البحث دراسة مرحلة حرجة مرت على الوجود العثماني في اليمن منذ أن بدأت الأخيرة في الخضوع للسيطرة العثمانية المباشرة منذ عام ١٥٣٨م ، وأصبحت ولاية عثمانية ، ولكن الإدارة العثمانية تعرضت إلى انتكاسة بعد عام ١٥٦٥م أثر قرار تقسيم اليمن إلى ولايتين ، فتدهورت أوضاعها وكادت أن تخرج من السيطرة العثمانية ، فجاءت حملة سنان باشا ( موضوع الدراسة ) لإنقاذ الموقف العثماني في اليمن.

## ٢. التمهيــد

في أعقاب السيطرة العثمانية على بلاد الشام ومصر وقضائهم على دولة المماليك في مصر سنة ١٥١٧م ، بادر شريف مكة بركات بن محمد بإعلان ولائه للعثمانيين من خلال إرسال ابنه محمد إلى القاهرة حاملا التهاني ومفاتيح الحرمين الشريفين ، فاستقبله السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠م ) ومنحه حكم الحجاز، وبذلك دخلت الحجاز اسميا تحت السيطرة العثمانية ، وقرئت الخطبة فيها باسم السلطان ، واحتفظت الدولة العثمانية بنظام الشرافة كما كان أيام دولة المماليك (غربي ، ٢٠١١ ، ص ٦٤-٦٥ ؛ العدول ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٠٠-٣٠٤ ).

وكان بعض المناطق اليمنية قد خضعت لسيطرة المماليك منذ عام ١٥١٦م ، واتخذوا من صنعاء مركزا لهم ، وعليهم الأمير إسكندر الشركسي ، وعلى أثر سقوط دولتهم في مصر على يد العثمانيين بادر إسكندر هو الأخير الى تقديم الولاء والطاعة للسلطان العثماني (العدول ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٢١ ) ، فأصدر السلطان سليم أمراً بتعيين إسكندر واليا على اليمن ، فقرأ الأخير الخطبة وضرب السكة باسم السلطان (صالحية ، ١٩٨٠ ، ص ٩٢ ) . وهكذا دخلت بعض بقاع اليمن ضمن السيادة الاسمية للدولة العثمانية أيضا ، غير أن اضطراب الأوضاع في اليمن ، وتخلي قائد المماليك إسكندر عن ولائه

للعثمانيين بعد وفاة السلطان سليم في ١٥٢٠م ، ونظرا لأهمية اليمن في الاستراتيجية العثمانية الخاصة في مواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، لذلك قامت السلطات العثمانية بإرسال عدة حملات لاستعادة النفوذ العثماني في اليمن (بيات ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٨٢-٤٨٣ ) .

ولكن تلك الحملات لم تتكلل بالنجاح لسوء إدارتها ، والنزاع الذي وقع بين قادتها للانفراد بالمكاسب والغنائم ( صالحية ، ١٩٨٠ ، ص ٩٣ ) . ومن جهة أخرى استمر الصراع بين القوى المحلية اليمنية كالطاهريين والزيديين (رميض ، ٢٠١٤ ، ص ١٢٦-١٢٧ ) ، وإزاء هذه الاضطرابات التي كانت تعصف ببلاد اليمن ، وأهمية خضوعها للسيطرة العثمانية المباشرة ، أرسلت الحكومة المركزية حملة كبرى بقيادة سليمان باشا الخادم[١] في تموز ١٥٣٨م لمواجهة الخطر البرتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي (لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ٣٧ ؛ جبري ، ٢٠١٤ ، ص ١٣١- ١٣٢ ) ، وفي طريقها إلى الهند استولت الحملة العثمانية على عدن وبعض المناطق اليمنية الساحلية ، كما خضعت لهم بعض القوى المحلية كالطاهريين في عدن ، وآل كثير في حضرموت ، والمماليك في زبيد وصنعاء (بطي الشامسي ، ٢٠١٣ ، ص ١٦١ ؛ الطائي ، ٢٠٢٠ ، ص ١٩٤ ) ، ولدى انسحاب سليمان باشا من الهند في تشرين الثاني ١٥٣٨م ، دون تحقيق أهداف حملته هناك ، ولتعويض فشله ، وكجزء من الخطة العثمانية استكمل احتلال بقية السواحل اليمنية وموانئها كالمخا والشحر، كما استولى على مدينة زبيد ، ولكنه أخفق في الاستلاء على تعز والمناطق الداخلية ، ثم غادر اليمن إلى مصر. وبذلك اقتصرت السيطرة العثمانية في ختام حملة سليمان باشا على منطقة السواحل اليمنية من جيزان شمالا إلى عدن والشحر جنوبا ، أما الجهات الداخلية فقد بقيت تحت حكم الزيديين بزعامة الإمام يحيى شرف الدين (١٥٠٧-١٥٥٨م) وابنه المطهر الذين شكلوا التحدي الأكبر في وجه العثمانيين(الشهري ، ٢٠١٨ ، ص ٧-٨ ).

وبدءاً من حملة سليمان باشا آنف الذكر، استكمل العثمانيون في السنوات التالية سيطرتهم على بلاد اليمن بشكل تدريجي ، وأصبحت اليمن ولاية عثمانية ، حتى خضعت لهم القوة الزيدية التي أجبرتها الانقسامات الداخلية على قبول الصلح الذي عرضه عليهم الوالي اوزدمير باشا[٢]( ١٥٤٩-١٥٥٥م ) في سنة ١٥٥١م ، فشهدت اليمن استقرارا نسبيا ، وتم تطبيق النظم العثمانية فيها بفضل السياسات الناجحة لبعض الولاة (سيد سالم ، ١٩٧١، ص ٢٢٣ ؛ بيات ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٨٥ ) .

ولكن بعض الولاة غير المهنيين الذين لا يهمهم غير مصالحهم الشخصية ، وجمع الأموال بالوسائل غير المشروعة كالابتزاز والرشوة والهدايا ، وفرض المزيد من الضرائب على الناس ، ومن هؤلاء محمود باشا[٣] ( ١٥٦٠-١٥٦٥م ) الذي طبق أساليب وسياسات فاسدة في إدارة الولاية ، وتسبب في فوضى عارمة ( الخطيب ، ٢٠٠٣ ، ص ٦٨-٦٩ ) ، وبعد عزله من اليمن ونقله الى ولاية مصر لم يترك اليمن وشأنها للوالي الجديد رضوان باشا[٤] ( ١٥٦٥-١٥٦٧م ) ، الذي كان حديث السن وقليل الخبرة ، وازداد الوضع سوءا في عهده ( لعجة ، ٢٠٢٢، ص ٩٢ ) ، فضلا عن اصطدامه بالوالي السابق محمود باشا الذي حاول تحميله أسباب تدهور أوضاع اليمن من خلال تقارير إلى العاصمة استانبول ، فما كان من الأخير الذي كان مسموع الرأي في المركز والمسؤول قانونيا عن متابعة أوضاع اليمن وامنها ودعمها بوصفه والي مصر ، إلا أن قام بالرد على اتهامات رضوان باشا وعزم على إفشال مهمته لدوافع وخلافات شخصية من خلال تعقيد أوضاع اليمن واشعال الفتن فيها (المكي ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٩ ؛ سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٣١-٢٣٢ ) .

فعمد محمود باشا على تمويه الحكومة المركزية وتضليلها حول أوضاع اليمن السيئة ، واقترح عليها متظاهرا أن تحسين أوضاع اليمن واستقرارها لصالح العثمانيين يستوجب تقسيم إدارتها الى ولايتين لاتساع مساحتها ، وهو بذلك لا يقصد صلاح البلاد وإنما نكاية برضوان باشا ، ونجم عن تنفيذ هذا المقترح في كانون الاول ١٥٦٥م اضطراب الأوضاع بدل الاستقرار لعدم التوافق بين حاكمي الولايتين رضوان باشا والي صنعاء و مراد باشا والي اليمن ، مما أدى إلى نشوب المعارك مع الزيديين الذين استغلوا الانقسام الحاصل بين قوات الواليين العثمانيين ، وتمكنوا من تحقيق انتصارات ، والسيطرة على معظم المناطق التي كانت تحت السيطرة العثمانية ( الخطيب ، ٢٠٠٣ ، ص ٧٠ ؛ لعجة ، ٢٠٢٢، ص ٩٣ ). وإزاء هذه التطورات ، وضعف الموقف العثماني في اليمن ، واستفحال القوة الزيدية ، قررت الحكومة المركزية إرسال حملة كبيرة لتعزيز الوجود العثماني واستعادة الأوضاع في اليمن الى سابق عهدها قبل التقسيم .

## ٣. ظروف الحملة ونتائجها

لقد أبدت الحكومة العثمانية اهتماما كبيرا بهذه الحملة لإعادة السيطرة العثمانية على اليمن ( سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٥٤ ) ، وكان لدى الحكومة المركزية خطة لإرسال حملة بحرية إلى اتشيه شمال

سومطرة في سنة ١٥٦٧م لإنشاء قوة عسكرية عثمانية في المحيط الهندي ، ولكن هذه الخطوة لم تر النور بسبب تدهور الأوضاع في اليمن ( MASTERS, 2013 , p. 24 ) ، وقد أشارت وثيقة عثمانية صادرة بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٥٦٨ م أن الأوامر صدرت بتأجيل إرسال الأسطول البحري العثماني الى الهند هذا العام بسبب التمرد في اليمن ، وسوف يتم إرساله بعد قمع التمردات ( A.DVNsMHMd, 7/708h) .

ويرجع هذا الاهتمام الى أمرين أولهما أن الدولة كانت تمتلك القوة والمقدرة اللازمتين للاحتفاظ بأملاكها ، وثانيهما أن اليمن كانت تمثل جزءا مهماً من استراتيجية العثمانيين في البحر الأحمر ، وهي غلق هذا البحر أمام الخطر البرتغالي الذي ظل يمثل تهديدا قائما في البحار الجنوبية حتى ذلك الحين ( سيد سالم ، ١٩٩٩، ص ٢٥٤-٢٥٥ ) ، فتم تعيين القائد سنان باشا[٥] (١٥٦٩-١٥٧١م) ، وقد أحاط تعيين الاخير قائداً للحملة المتوجهة الى اليمن بعض الظروف الخاصة التي توضح بجلاء المظاهر الجديدة التي طرأت على سياسة الدولة ونظمها والتي كان لها تأثيرها في أحداث الحملة بعد ذلك ، فقد صدر الامر السلطاني أولاً بتعيين لالا مصطفى باشا[٦] (معلم السلطان سليم الثاني) قائداً للحملة قبل سنان باشا، وكان اختيار لالا مصطفى باشا قائدا للحملة جزءاً من خطة الصدر الأعظم محمد باشا الصوقللي (١٥٦٥-١٥٧٩م) الذي أراد إبعاد مصطفى باشا عن العاصمة لتقوية قبضته على زمام الامور، بعد أن نجح في إبعاد جميع ذوي النفوذ عن السلطة ماعدا مصطفى باشا المقرب من السلطان ، كما صدر الأمر بتعيين عثمان باشا والياً جديداً على اليمن، وسنان باشا واليا على مصر في نيسان ١٥٦٨م ، وكان سنان باشا عدواً لدوداً لمصطفى باشا، لأن الاخير كان قد تسبب في إعدام أخيه اياس باشا في عهد السلطان سليمان القانوني لانحيازه الى الامير بايزيد أثناء الصراع الداخلي بين أبناء السلطان سليمان على العرش ( رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٥٨ ) .

وأدى الخلاف بين مصطفى باشا وسنان باشا دوراً مهماً في تقرير مصير قيادة الحملة التي كان يحلم بها سنان باشا ايضاً، ولما جاء مصطفى باشا الى مصر لاستكمال تجهيز الحملة واجه بعض العراقيل سواء من طرف سنان باشا والي مصر ، أو عدم تلبية الجنود لدعوة الاشتراك في الحملة، وفي النتيجة اتهم مصطفى باشا بالتقاعس والفشل في تجهيز الحملة ، وتم عزله وتكليف سنان باشا بقيادتها ( سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٥٥-٢٦٠ ) .

و هكذا صدر الأمر السلطاني في ١٣ اب ١٥٦٨م الى والي مصر سنان باشا بمهمة قيادة الحملة وإخضاع اليمن ، كما منح رتبة وزير وصلاحيات واسعة لقمع التمرد في اليمن ، والقيام بالإجراءات اللازمة وبذل الجهود لتنفيذ الاوامر بطريقة حكيمة والعمل على ضبط الإدارة العثمانية وتنظيمها في اليمن ( A.DVNsMHMd , 7/1912 )

وفي ١٤ اب ١٥٦٨م وصل عثمان باشا[٧] مع جنوده إلى اليمن حيث كانت السلطات العثمانية قامت بتعيينه واليا لليمن كما أشرنا، وطلبت منه اتخاذ الإجراءات اللازمة مع سنان باشا الذي تم تعيينه سردارا (قائدا) لقمع التمرد في اليمن، وطالبته السلطات العثمانية الإسراع في القضاء على المتمردين وبذل جهود وتعاون مع سنان باشا ( A,DVNsMHMd ,7/1925) .

وفي كانون الاول ١٥٦٨م وصل عثمان باشا على رأس قوة كبيرة تقدر بثلاثة آلاف جندي وسبع عشرة سفينة إلى زبيد لإسعاف حاكمها حسن باشا الذي كان قد طلب النجدة، وقد أدى وصول عثمان باشا الى زبيد إلى تعزيز موقف العثمانيين في اليمن بوجه عام، كما تحول موقفهم من الدفاع الى الهجوم، فقد تقدم عثمان باشا بعد قليل نحو مدينة تعز، واستولى عليها في شباط ١٥٦٩م قبل وصول امدادات الامام المطهر[٨] إليها( سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٥٩ ؛ رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٥٨ ) .

ومن جهة أخرى على أثر صدور الأمر السلطاني في ١٣ اب ١٥٦٨م الى سنان باشا بقيادة الحملة الى اليمن كما أشرنا في مقدمة البحث. بدأ الاخير في إعداد لوازم هذه الحملة التي حظيت باهتمام خاص وأهمية كبيرة من لدن الحكومة المركزية، وكان سنان باشا في مصر عند صدور الأمر السلطاني، وما ان علم بذلك حتىٰ قام بتجهيز ما يقارب ثلاثة آلاف جندي أغلبهم من مصر والشام مزودين بالسلاح والعتاد ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١١٨-١١٩ ؛ yeşilyurt , 2007, S 12 ) ، حيث سعت الدولة العثمانية إلى تهيئة كل الإمكانات والمستلزمات لإنجاح مهمة هذه الحملة من حيث القيادة والاعداد في العدة والعدد التي لم يجهز لغيرها من الحملات في تلك المرحلة (رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٥٩ ).

وفي هذا الصدد أشارت وثيقة عثمانية صادرة من الديوان الهمايوني التي أصدرها السلطان الى كافة القادة والمسؤولين العثمانيين في صنعاء والسناجق الاخرىٰ بضرورة طاعة سنان باشا، ومعاقبة اولئك الذين لا يلتزمون بأوامره، كما يجب على جميع الولاة والمأمورين قبول التوجيهات التي سوف يصدرها

سنان باشا بعد الانتهاء من قمع التمرد، والقضاء على المتمردين في صنعاء والمناطق المجاورة له (A.DVNsMHMd, 7/1922).

وبعد إتمام كل ما يدعم الحملة تحرك سنان باشا من مصر في ٥ كانون الثاني ١٥٦٩م متوجهاً إلى اليمن ، وقبل نزوله في اليمن ذهب الى مكة والمدينة كعادة ولاة اليمن أثناء ذهابهم الى ولايتهم ، وعند عودتهم منها، ثم وصل الى ميناء ينبع اليمني وأنزل أغلب أفراد الحملة الى الساحل، ثم توجه بعدها الى منطقة جيزان شمال تهامة لإخضاعها للسيطرة العثمانية ، وفي ١٩ اذار ١٥٦٩م استقبله رؤساء ومشايخ وسكان المنطقة فرحا مبتهجين بقدومه معلنين ولاءهم للسلطة العثمانية فتعهد لهم سنان باشا بتوفير الأمن والأمان (رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٦٠-٣٦١ ).

وكان حاكم جيزان التابع للمطهر الزيدي قد هرب لدى سماعه اقتراب الجيش العثماني من المدينة فدخلتها القوات العثمانية دون قتال ، ليسجل سنان باشا بذلك أول انتصار له بأرض اليمن ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٢٠ ) ، وعندما علم سنان باشا أن القوات العثمانية محاصرة في تعز وهي بحاجة الى الدعم و المساندة لم يطل المقام في زبيد ، فتحرك بقواته على جناح السرعة نحو تعز، إذ كانت خطته العسكرية تقضي بفك الحصار المضروب على الجيش العثماني في تعز أولا ، فوصل الى مكان بين الاخيرة وجبل الاغبر الذي تعسكرت فيه القوات الزيدية بقيادة محمد بن شمس الدين، ثم اتخذ من ذلك المكان معسكرا لقواته وعقد مجلسا استشاريا لقادة القوات ، واتفقت الآراء على بقاء سنان باشا في معسكره ، وإرسال مجموعة من الجنود يقدر عددهم بخمسمائة مقاتل لمهمة الهجوم على جبل الاغبر ، وعندما رأت القوات الزيدية أفراد الجيش العثماني نزلوا لمواجهتهم عند سفح الجبل ، فاشتبكت القوتان في معركة صغيرة يوم ٩ أيار ١٥٦٩م انتهت بهزيمة القوات الزيدية ، وقد أخطأ محمد بن شمس الدين حين امر أتباعه بالنزول الى سفح الجبل لأنهم أصبحوا لقمة سائغة للعثمانيين، وكان ذلك سبباً رئيساً لهزيمتهم ، وبذلك عززت القوات العثمانية سيطرتها على مدينة تعز وسجل سنان باشا ثاني انتصار له بعد الاستيلاء على نجران ، وكرّم جنوده باغداق الهدايا و الترقيات عليهم، ثم وجه اهتمامه بعد ذلك نحو قلعة القاهرة[٩] الحصينة في تعز ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٢٠-١٢١ ؛ ALLAHVERDİ , 2015, S. 97) .

ولما وصل الجيش العثماني قريباً من القلعة المذكورة واجه صعوبة في اقتحامها والاستيلاء عليها بسبب ارتفاعها وحصانتها وقوة المدافعين عنها، وتعرض الجيش العثماني لوابل من حجارة المدافع التي

شلت حركته، ولكن سنان باشا بخبرته العسكرية وفطنته لجأ الى التفاوض مع قائد قلعة حامية القاهرة علي الهمداني أحد قادة الطائفة الإسماعيلية الذي كان قد التحق بخدمة الامام المطهر الزيدي خلال مرحلة ضعف الحكم العثماني في اليمن قبل حملة سنان باشا، فعينه المطهر قائداً لحامية القلعة في تعز ، ولكن التطور المهم كان في موقف زعيم الطائفة الاسماعيلية في اليمن الداعي محمد بن عبدالله الذي غير ولاءه مجدداً عند قدوم سنان باشا الى اليمن، فلجأ إليه و عاد الى سابق عهده في تقديم الخدمات للعثمانيين و التعاون معهم ضد الزيديين ( الثوري ، ٢٠٢٢ ، ص ٩٣ ؛ ALLAHVERDİ , 2015, S. 97). فاستغل سنان باشا هذا الموقف وكلف محمد بن عبد الله بالتواصل مع قائد حامية القلعة، وانتهى الأمر بتسليم المدافعين عن القلعة أنفسهم للجيش العثماني مقابل منحهم الأمان والامتيازات، فوافق سنان باشا على هذا المقترح وأجزل لهم العطاء بما يضمن الحياة المستقرة لهم، وبذلك نجح سنان باشا في مساعيه التي حقق من خلالها نصرا عسكريا مقرونا بانتصار سياسي لمحو ما لحق بالعثمانيين من سمعة سيئة كونهم لا وفاء لهم بالعهود وحتى يطمئن له بقية أهالي اليمن في مسيرة خطته العسكرية القادمة ( الثور ، ٢٠٢٢ ، ص ٩٣ ) .

كان استيلاء سنان باشا على مدينة تعز وقلعتها الحصينة مقدمة لتوجهه نحو عدن التي كان يعد العدة لها منذ دخوله منطقة جيزان وسيطرته على مدينة تعز، حيث جهز اسطولا قويا وأبحر به من ميناء مخا باتجاه عدن لمحاصرتها من جهة البحر، ولكي يمنع الزيديين من الاتصال بالبرتغاليين إذا فكروا الاتصال أو الاستعانة بهم ، ولا سيما أن البرتغاليين كانوا يتربصون بهذا الثغر الحصين فلو تمكنوا منه منعوا على المسلمين سفن الهند، لذلك حرص سنان باشا على منع حصول ذلك فأرسل قوات برية وبحرية للسيطرة على عدن (رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٦٢ ) ، واقتضت خطة سنان باشا بمداهمة عدن من البر والبحر معاً، فقام بإرسال قوات بحرية بقيادة الامير خير الدين القبطان المعروف بقورت اوغلي، وكان معروفاً بشجاعته وخبرته بشؤون البحر وحروبه، وقد خرج في حملته البحرية من المخا في ١٥ نيسان ١٥٦٩م ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٢٢ ؛ yeşilyurt, 2007, S.12) ، أما في الاتجاه البري فقد تم تجهيز حملة برية وعين عليها الأمير ممّي المشهور بشدته وغلظته خرج متأخراً عن الحملة البحرية بحدود الشهر ، ولما وصل خير الدين الى ساحل عدن استقر به ، وأنزل مدافعه وانتظر وصول القوات البرية حتى تتم الإحاطة بعدن من البر والبحر، فوصل الأمير ممّي بقواته البرية وأحاطوا بعدن من كل جانب، وبعد حصار لم يدم طويلا تمكن العثمانيون من السيطرة عليها في ١٥ ايار ١٥٦٨م (رابحة

الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٦٢ ). وتم أسر حاكمها ابن الشويع مع مجموعة كبيرة من أتباعه ، وقد تكبد العثمانيين خسائر بشرية ومادية في سبيل استعادة عدن وجرح الامير خير الدين بل كاد أن يقتل ، وذلك بعد أن تقدم إليه شخص من أباع ابن الشويع موهما إياه بأنه يريد تقبيل يده ، لكن تلك القبلة تحولت الى طعنة خنجر أصيب على أثرها بجروح بليغة ، الامر الذي ترتب عليه قيام الامير ممّي بقطع رأس قاسم بن الشويع لاتهامه بهذه الخيانة ومحاولته قتل الامير خير الدين ، كما أراد قتل ولده وأتباعه جميعا لولا تدخل الامير خير الدين ومنعه من ذلك ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٢٣ ).

بعد السيطرة على عدن تم إرسال البشائر إلى سنان باشا الذي كان في غاية الترقب والانتظار، وكان حينها يتجهز للذهاب نحو صنعاء ووصله خبر استعادة عدن ، الامر الذي أفرحه ورفع من معنويات جيشه، وما كان من الباشا إلا أن قام على الفور بإرسال رسول الى استانبول يبشرهم بخبر استعادة عدن الى سيطرة الدولة العثمانية ، وفيما يخص وضع عدن بعد استعادتها ، فقد تركها سنان باشا تحت امرة ابن أخته الأمير حسين ، وعقد له لواءً سلطانيا بذلك ، ثم قام باستدعاء الأميرين خير الدين وممّي لغرض مساعدته في حروبه في الشمال ، كما قام بترقية جميع العساكر الذين شاركوا في فتح عدن وأنعم عليهم وعلى رأسهم الأميران السابق ذكرهما، وبسقوط عدن بيد العثمانيين سنة ١٥٦٩م يكون سنان باشا قد أنهى مرحلة مهمة من مراحل حملته وهي السيطرة على التهائم والسواحل اليمنية من جازان شمالا الى عدن جنوبا ، وبدأ يتفرغ لحروب الزيديين في الشمال، ومن الملاحظ أن نجاحات سنان باشا العسكرية المتسارعة تعود الى مجموعة من الأسباب ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٢٤ ؛ Smith , 2002 , p. 39) ، على رأسها ضخامة الجيش العثماني الذي جاء به وقوته ، فضلا عن سهولة الجغرافية في المناطق التهامية والساحلية حيث ساعدته على احراز انتصارات سريعة ومتوالية على العكس من المناطق الشمالية التي تكبد فيها مشقة كبرى ، كما أن لشخصية سنان باشا دوراً كبيراً جداً في تحقيق حملة أهدافها كافة، إذ كان شخصية صادقة مع أعدائه وأتباعه على حد سواء ، وكان يقف بكل شجاعة وحزم في وجه انحرافات بعض الجنود والأمراء العثمانيين ، كما أن وفاءه بالوعود التي كان يقطعها يعد سرا من أسرار نجاحه وتوسعه في اليمن محاولا بذلك محو ما لحق بالعثمانيين من سمعة سيئة من بعض الولاة السابقين ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٢٥ ؛ Akgül , 2014 , S. 39) . وبعد قمع الثورة واستعادة بعض الأماكن بدأت تظهر مشاكل مختلفة بين سنان باشا وعثمان باشا ( ALLAHVERDİ , 2015, S. 97) ، ولهذا بدأ سنان باشا أعماله في هذه المرحلة باتخاذ موقف

سياسي هام وهو عزل عثمان باشا من ولاية اليمن، وتعيين حسن باشا مؤقتاً بدلاً منه ، وذلك لما أبداه عثمان باشا من صلابة في الرأي ، بل لميله تعاليا إلى عدم التعاون مع سنان باشا ، فضلا عن مواقف عثمان باشا الحادة المعارضة لمواقف سنان باشا التي كان أبرزها موقفه من قتل أفراد حامية قلعة "تعز" بعد الاستيلاء عليها، ثم جاء السبب المباشر لعزله عندما رفض التوجه الى معسكر سنان باشا لمناقشة خطة الزحف الى صنعاء وكان الأخير قد دعا كبار قادته الى الاجتماع لدراسة هذه الخطة ولكن عثمان باشا أنف أن توجه اليه الأوامر من جانب سنان باشا لشعوره بأنه ند له ، عندئذ خشي سنان باشا أن يؤدي هذا الموقف الى الانقسام في داخل صفوف العثمانيين، ولاسيما أن أخبار الخلافات بينه وبين عثمان باشا، كانت قد شاعت من قبل بين الجنود فاصدر لذلك الامر بعزله ، وذلك بما كان لديه من صلاحيات وسلطات واسعة في اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتحقيق هدف الحملة في اليمن ( سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٦٩-٢٧٠ ) .

بعد ذلك توجه سنان باشا الى صنعاء من أجل السيطرة عليها واختار طريق وادي ميتم الذي سلكه جيشه الضخم برجاله الذين لا يعدون فهو وادي يتسع للخيول وحركة المقاتلين ، وكذلك نقل المدافع و البنادق ( Smith , 2002 , p.39) ، حيث خرج الجيش من قلعة القاهرة في ٥ حزيران ١٥٦٩م لكنه تعرض لهجوم بالقرب من مسجد القاهرة من قبل مجموعة من القبائل، ولكنه تمكن من النجاة ومواصلة السير ( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٢٨ ) ، واستطاع خلال مسيرته أن يستولي على معظم جهات وسط الهضبة ولاسيما إقليم بعدان الذي كان يشتهر باسم مملكة بعدان ما عدا حصن حب[١٠] الشهير ، فقد استولى سنان باشا على مدينة إب أهم مدن هذه المنطقة في ٢٥ حزيران ١٥٦٩م، كما استولى على مدينة (التعكر) وحصنها المنيع ، وغير ذلك من المدن والحصون الأقل أهمية وإن كان ذلك قد كبده الكثير من المتاعب والخسائر في المعدات والأرواح، وفي الوقت نفسه فضل سنان باشا مواصلة زحفه إلى صنعاء بدلاً من إضاعة الوقت في الاستيلاء على حصن حب، مكتفيا بتعيين أميرين لمحاصرة هذا الحصن بصفة مستمرة وإضعاف مقاومته ، وذلك بعد أن هيأ لهما سبل الإقامة الطويلة حول الحصن ، وبعد أن هدم حصنين صغيرين كان يقعان بالقرب من حصن حب حتى لا يستفيد منهما اليمنيون في إثارة المتاعب للعثمانيين هناك ( سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٧٢ ).

فضلا عن ذلك طلب عبد الله الداعي من سنان باشا تكليفه في أخذ حصن خدد[١١] وجبل الحبيش، ونتيجة لذلك استطاع الداعي بعد حصار وقتال السيطرة على جبل الحبيش وقلعة خدد وأخذها

من يد لطف الله بن المطهر في ١٨ حزيران ١٥٦٩م ، و سار الجيش بعد ذلك الى ذمار في ٤ تموز ١٥٦٩م ونزل بوادي سهيل ، ثم واصل سيره الى أن توقف في وادي يريم وأثناء إقامة سنان باشا في وادي يريم، جاءه أهل ذمار واستقبلوه وقدموا له الطاعة ، ثم انتقل على رأس جيشه الى ذمار ودخلها دون أي مقاومة تذكر( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص ١٣٠-١٣٣ ) ، ثم سقطت صنعاء في أيدي العثمانيين بعد ذلك دون حرب، وذلك لأن الإمام المطهر كان قد قرر سحب قواته الرئيسية إلى المناطق الجبلية شمال صنعاء لتركيز الدفاع عنها ، وقد سلم أهل المدينة بلدهم لسنان باشا بأمر الامام المطهر حتى لا تتعرض للتخريب أو السلب والنهب كما حدث في عهد اوزدمير باشا، وكان وصول سنان باشا الى صنعاء في ٢٦ حزيران ١٥٦٩م أي بعد حوالي خمسة أشهر فقط من وصوله الى جيزان فدخلها في أمان وذلك بعد أن كان قد أرسل إليها أحد الأمراء على رأس قوة صغيرة ليمنع العساكر من دخول البيوت والبحث عن العلف والقوات ( سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٧٣ ).

وبعد أن سيطر الجيش العثماني على صنعاء أخذ يخطط لتصفية جيوب الزيديين القريبة منها ، فتم إرسال سرية باتجاه حصن قطران الذي كان يتمركز فيه أحد القادة الموالين للامام المطهر في منطقة خولان ، وقد عين لتلك المهمة مجموعة من الجنود قادهم الامير ممي واستطاعوا السيطرة على حصن قطران بعد أن هرب منها حاكمها الزيدي مع أتباعه ، ثم واصلت القوات العثمانية تقدمها نحو وادي السر الذي يضم قرىً كثيرة موالية للامام المطهر بن شرف الدين( لعجة ، ٢٠٢٢ ، ص١٣٤ ) ، وعلى الرغم من الانتصارات التي حققها سنان باشا وقواته فإن الزيديين ظلوا يشكلون عائقا أمام تقدم الجيش العثماني باتجاه الشمال اليمني، كما أن التقدم باتجاه حصن ثلا[١٢] وكوكبان[١٣] تطلب استراتيجية عسكرية جديدة تختلف عما سبقها من معارك لوجود عقبات طبيعية وبشرية في تلك المناطق، وقد أعاقت هذه الامور سنان باشا عن تحقيق هدفه، لذلك ركز في خطته على ضرورة الاستيلاء على الحصون المتواجدة في الطرق المؤدية إلى حصن ثلا ، ثم الاعتماد على إمكان الأقاليم التي سيطر عليها في سد حاجات قواته من المؤن التي تأخر وصولها إليه لصعوبة الطرق وبعدها ( رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٦٣ ) ، وأثناء ذلك ارتكب سنان باشا خطأ كبيرا حين أباح للوالي حسن باشا الإغارة على القرى وأخذ كل ما بها من غلال ومؤونة لتوزيعها على الجيش ، مما أدى الى تذمر اليمنيين من هذا الأمر ، بل انضم الكثير منهم الى جانب المطهر الزيدي في حربه ضد العثمانيين ، واستغل الاخير هذا الامر في إثارة الحرب الدعائية ضد القوات العثمانية قبل استخدامه حرب العصابات مع قوات الباشا المتقدمة إلى حصن ثلا و

كوكبان ، فأدى ذلك الى تأخر سير القوات العثمانية في المنطقة الشمالية، ومن جهة أخرىٰ عمل سنان باشا كل ما بوسعه من أجل التقدم باتجاه حصن ثلا وكوكبان لذا تقدم بقواته للاستيلاء على حصن بيت عز الذي يعد من أكثر الحصون قربا من حصن ثلا واحكمها ( رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٦٣ ) ، فنجحت قوة عثمانية في ارتقاء الجبل والاستيلاء على حصن بيت عز و بقية الحصون التي تقع في الطريق الى كوكبان وحصن ثلا وتم لهم ارتقاء الجبل، ولكن الصعوبات التي واجهتهم أثناء ذلك كانت قوية وشديدة منها عدم تمكنهم من نقل المدافع وآلات الحصار وتحاشيهم إشعال المواقد حتى لا يكشف أمرهم ، و تضرر الجيش من تدحرج الأحجار الكبيرة التي كانت تحطم ما صادف من الخيل والرجال وحاول سنان باشا أن ينقذ قواته باستخدام المدفعية وإطلاق نيرانها على قوات المطهر وقائدها محمد بن شمس الدين حتى يستطيع حسن باشا وقواته الصعود إلى قمة الجبل والوصول الى أمام بوابة مدينة كوكبان في القمة ( الثور ، ٢٠٢٢ ، ص ٩٥ ) ، وبعد أن طال حصار قلعة كوكبان وظل المدافعون عن القلعة بقيادة محمد بن شمس الدين لمدة تسعة أشهر يصدون محاولات العثمانيين في الاستيلاء عليها، عندئذ ضاق الطرفان ذرعا لطول مدة الحصار فقرروا عقد صلح بينهما علما أن ميل محمد شمس الدين للصلح كان أكثر من ميل سنان باشا اليه، فشخصية محمد شمس الدين الضعيفة وتأثير الحصار جعله يميل الى عقد الصلح ، أما بالنسبة للجانب العثماني فقد تظافرت عوامل عديدة جعلته يميل إلى هذا الصلح فمناعة حصن كوكبان وصمود مقاتليه أمام قوات سنان باشا لمدة طويلة حطمت آمال سنان باشا في السيطرة على الحصن ، كما أن نشاط المطهر بعد الحصار كان من الأسباب التي أجبرت سنان باشا على عقد الصلح ، ولا سيما بعد أن انخفض عدد قواته بعد المعارك التي خاضها مع الزيديين ولتفرق البقية على الحاميات المنتشرة في اليمن، فضلا عن عدم انصياع والي مصر اسكندر باشا الشركسي (١٥٦٨ –١٥٧١م) عن تقديم اي مساعدات أو دعم لسنان باشا على الرغم من الأوامر السلطانية الموجهة له، والتي أثرت على إمكانية سنان باشا القتالية ( رابحة الجبوري ، ٢٠١١ ، ص ٣٦٤ ) .

اضطر الامام المطهر الى الركون للسلام وفي اتفاقية الصلح المبرمة في ٢١ ايار ١٥٧٠م وافق على أن تكون الخطبة والعملات المعدنية في اليمن باسم السلطان العثماني ، وسيتم إرجاع الأماكن التي كانت تحت الحكم العثماني سابقا ، ولن يساعد الامام المطهر المتمردين في قلعة حب أبداً ( başTürk, 2014 , S. 39 ; Akgül 2013 , S. 16 ) ، في نظير أن يحتفظ بالمنطقة التي يحكمها والتي تشتمل

على ثلا والظواهر وصعدة وحجة وبعض المناطق الأخرى المجاورة كإقليم الشرف وعفار و حصن ذي مرمر، هذا فضلا عن قبول الامام وجود حامية رمزية صغيرة لا تزيد على ثلاثين جنديا عثمانيا تقيم في صعدة كرمز للسيادة العثمانية على جميع أقاليم اليمن بما في ذلك المنطقة التي يسيطر عليها الزيديون، ومنذ أن تم عقد الصلح بين الطرفين الى أن اضطر الأتراك الى الجلاء عن اليمن سنة ١٦٣٥م مر الحكم العثماني في تجارب قاسية وأحداث خطيرة ، وقد تخلل الثلاثين عاما التي تلت عقد الصلح فترات من الهدوء قليلة كانت كل فترة منها تنذر بهبوب عاصفة من الاضطرابات والانقضاض على الحكم والمقاومة المسلحة ، وكانت أطول مدة ساد فيها الهدوء هي المرحلة التي تلت عقد الصلح بين سنان باشا والإمام المطهر( البطريق ، ١٩٦٩ ، ص ٣١-٣٢ ) .

إلى جانب مهمة إعادة السيطرة العثمانية على ولاية اليمن التي نجح فيها سنان باشا من خلال الحملة العسكرية التي أشرنا الى تفاصيلها كان يتمتع بصلاحيات واسعة منحت له من قبل السلطان لذا لم تقتصر مهمته على الأعمال العسكرية فقط ، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، وهدأت الامور بعقد الصلح مع الزيديين اتجه سنان باشا الى تنظيم إدارة اليمن ووضع أسس جديدة لها ، وفي هذا السياق قرر إجراء إصلاحات مالية بإلغاء الاتاوات المالية المبتدعة التي فرضها الأمراء السابقون على أهل تعز وكان يطلق عليها(المضرة، الضيقة، السخرة) وحرص على تسجيل إلغائها في المحكمة الشرعية بمدنية تعز ، كما استصدر حكما من المركز بخصوص ضرب العملة في اليمن وجلب الفضة من مصر ( الثور ، ٢٠٢٢ ، ص ٩٧ ).

ومن التنظيمات الأخرى التي أجراها سنان باشا القيام بمسح الأراضي المزروعة وعدد النخيل و الأشجار المثمرة وأنواع الأنشطة التجارية وحجمها ، كما أولى اهتماما كبيرا بالاسواق التجارية ، فوضع لها مراقبين للمحافظة عليها من تلاعب التجار وضبط المكاييل و الموازين ( الحميدان ، ١٩٨٩ ، ص ٩٢-٩٣ ) ، فضلا عن ذلك قامت السلطة العثمانية بمنح الأمراء الذين وقفوا بجانبها أثناء إعادة السيطرة العثمانية دورا في الإدارة الجديدة ، إذ جعلتهم حكاما على بعض الاقاليم اليمنية، وربما أن قسماً منهم كانوا كذلك قبل خضوع تلك الاقاليم للحكم العثماني منهم على سبيل المثال الامير محمد حاكم كوكبان ، والامير عبدالرحمن حاكم حجة اللذان وقفا بقواتهم بجانب العثمانيين لقمع ثورات الزيديين ، بعد ذلك عهد سنان باشا بايالة اليمن الى بهرام باشا[١٤]، ثم غادر ميناء المخا في ١ اذار ١٥٧١م تاركاً مهمة إكمال الإصلاحات في اليمن لبهرام باشا ( بيات ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٨٩-٤٩٠ ) . عاد سنان باشا الى منصب

حاكم مصر لمدة عامين وبعدها استمرت مسيرته المهنية بالتناوب بشن الحملات الخارجية والمناصب العليا إذ شغل أعلى منصب بالدولة وهو الصدر الأعظم لخمس مرات وتوفي في سنة ١٥٩٦ ( MASTERS, 2013 , p. 12 ) .

بدأ بهرام باشا(١٥٧٠-١٥٧٥م) بممارسة سلطته بعد مغادرة سنان باشا باتخاذ جملة من الإجراءات الاحترازية للحيلولة دون قيام القبائل باي عصيان مسلح ضد الإدارة العثمانية ، ومن تلك الإجراءات إلزام جميع مشايخ اليمن الحضور هم أو أبناؤهم او إخوانهم في ديوان الإيالة ، كما قام بنقل مقر حكومة الولاية من صنعاء الى مدينة القاهرة، وبنى فيها مؤسسات دينية ومدنية مختلفة كالسراي والجامع والعمارات وبيوت لإقامة مشايخ البدو وحاشيتهم ، فأجرى بذلك تغييرا كبيرا فيها حتى سميت المدينة بالبهرامية ، كما بنى بهرام باشا جوامع ومدارس وعمارات في أماكن أخرى من اليمن، وواصل مهمته بنجاح اكثر لمدة خمس سنوات متواصلة من(١٥٧٠-١٥٧٥م) ونال بهذه الاعمال رضا الأهالي ( بيات ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٩٠ ) ، كما اعتنى الوالي بهرام باشا بطرق المواصلات من ناحية تجديدها وإصلاحها وانفرد بقيامه سنة ١٥٧٠م بإنشاء مدينة جديدة في اليمن وقد أسماها ملحظ واتخذها مركزا لحكمه ( الحميدان ، ١٩٨٩ ، ص ٩٣ ).

لقد حققت حملة سنان باشا نجاحات باهرة في إعادة السيطرة العثمانية على اليمن، كما أنها أعادت هيبة الدولة العثمانية ليس في اليمن فحسب بل في سائر الولايات العربية بعد أن تعرض الوجود العثماني فيها لشيء من الضعف ، ولا سيما بعد وفاة السلطان سليمان القانوني والضعف العام الذي انتاب الدولة ، وعلى الصعيد اليمني كانت الحملة تقييماً واقعياً للظروف التاريخية اليمنية والعثمانية على السواء، وأبرزت بوضوح العوامل المادية والاجتماعية التي كانت تؤثر في أحداث اليمن باستمرار كما بينت أهمية تضاريس اليمن الجبلية ودورها في سير الأحداث التاريخية ، وكيف كان اليمنيون يستغلون بشجاعة هذه التضاريس في الوقوف في وجه السلطة القائمة أو في مقاومة الغزاة الأجانب ( سيد سالم ، ١٩٩٩ ، ص ٢٦١).

## ٤. الخاتمــة

أصبحت اليمن ولاية عثمانية بدءا من سنة ١٥٣٨م ، ثم استكمل العثمانيون سيطرتهم على بلاد اليمن بشكل تدريجي ، وخضعت لهم جميع القوى المحلية التي كانت فاعلة في الساحة اليمنية كالطاهريين وآل كثير والزيديين بحلول سنة ١٥٥١م .

أدى تقسيم اليمن إلى ولايتين في أواخر سنة ١٥٦٥م بناء على مقترح محمود باشا والي مصر لدوافع وخلافات شخصية مع والي اليمن رضوان باشا الى اضطراب الأوضاع ، وتجدد المعارك مع الزيديين وخروج معظم المناطق التي كانت في حوزة العثمانيين لصالح الزيديين الذين استفحلت قوتهم مستغلين الانقسام في صفوف العثمانيين ، وعلى أثر هذه التطورات قررت الحكومة المركزية إرسال حملة كبيرة بقيادة سنان باشا في ١٥٦٩م لإخضاع اليمن وإعادتها للسيطرة العثمانية مجدداً .

أظهر سنان باشا منذ وطأت أقدامه أرض اليمن مهنية عالية ودهاء سياسي ودبلوماسي ومقدرة عسكرية عالية ، فقد تمكن خلال عدة أشهر من إعادة السيطرة العثمانية على مناطق جيزان ، وتعز ، ثم هاجم ميناء عدن ضمن خطة عسكرية محكمة من خلال مداهمتها وفرض الحصار عليها برا وبحرا ، فخضعت للعثمانيين في ١٥ أيار ١٥٦٩م ، وفي حزيران دخل سنان باشا صنعاء دون مقاومة بعد انسحاب القوات الزيدية منها ، ثم زحف بقواته نحو المناطق الشمالية ذات الكثافة الزيدية والتضاريس الصعبة ، وعلى الرغم من استيلاء القوات العثمانية على بعض القلاع والحصون إلا أنها واجهت مشقة كبيرة وصعوبة بالغة في الاستيلاء على قلاع مدن مهمة مثل ثلا ، وكوكبان الواقعة في مرتفعات جبلية عصية على القوات المهاجمة ، ومع فشل خطة الحصار على قلعة كوكبان الذي استمر تسعة اشهر ، وعدم وصول تعزيزات عسكرية من المركز ، لجأ سنان باشا الى سياسة المهادنة واحتواء الزيديين ودخل معهم في مفاوضات انتهت بعقد صلح في ٢١ أيار ١٥٧٠م تضمن خضوع الزيديين اسميا للسلطان العثماني ، مقابل الاعتراف بنفوذهم في مناطقهم ، وعلى أثر هذا الصلح ساد الهدوء والاستقرار بلاد اليمن ، واتجه سنان باشا الى تنظيم شؤون اليمن ووضع أسساً جديدة لإدارتها ، وقام ببعض الإصلاحات والإجراءات في جوانب مختلفة انعكست إيجابا على أوضاع اليمن ، ثم أكمل بهرام باشا(١٥٧٠-١٥٧٥م ) المسار الذي أسسه سنان باشا في إدارة اليمن من إ--دامة الاستقرار والقيام بالإصلاحات واعمال عمرانية .

## ٥. المصادر والمراجع :

1-A.DVNsMHMd, Bab-ı Asafi Divan-I Hümayun sicilleri Mühimme Defterleri,7/708h.

2-A.DVNsMHMd, Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun sicilleri Mühimme Defterleri,7/1912.

3-A.DVNsMHMd, Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun sicilleri Mühimme Defterleri,7/1922.

4-A,DVNsMHMd, Bab-ı Asafi Divan-ı Hümayun sicilleri Mühimme Defterleri,7/1925.

١- غربي ، الغالي . ( ٢٠١١ ) . دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٢٨٨ – ١٩١٦م، ط: ٢، الجزائر.

٢- الشامسي ، احمد محمد عبيد بطي . ( ٢٠١٣ ) . الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، ط ٢ ، الامارات العربية المتحدة .

٣- البطريق ، عبدالحميد . ( ١٩٦٩ ) . من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠م ، د. م .

٤- بيات ، فاضل . ( ٢٠٠٧ ) . الدولة العثمانية في المجال الدولي، بيروت .

٥- لعجة ، ماجد يحيى مجاهد . ( ٢٠٢٢ ) . الولاة العثمانيين في اليمن ١٥٣٨ – ١٦٣٥م. إسطنبول

٦- سالم ، سيد مصطفى .( ١٩٩٩ ) . الفتح العثمانية الأول لليمن ١٥٣٨- ١٦٣٥م ، ط ٥ ، مصر .

٧- المكي ، قطب الدين محمد بن احمد النهروالي . ( ١٩٦٧) . غزوات الجراكسة والاتراك في جنوب الجزيرة ، الرياض .

١- العدول ، جاسم محمد حسن ( ٢٠٠٤ ) . الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الاول ١٥١٢ – ١٥٢٠م، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعه الموصل .

٢- الحميدان ، تركي بن حميدان صالح . ( ١٩٨٩ ) . نظم الحكم في اليمن في العصر العثماني الاول ٩٤٥-١٠٤٥هـ /١٥٣٨-١٦٠٥م . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

٣- الثور ، امة الملك اسماعيل قاسم . ( ٢٠٢٢ ) . اليمن في عهد الواليين ازدمير باشا وسنان باشا "دراسة تاريخية مقارنة" . مجلة اداب الحديدة، العدد ١٣ .

٤- الشهري ، احمد محمد علي الفيلاني . ( ٢٠١٨ ) . الحكم العثماني في اليمن في الفترتين (١٥٣٨ – ١٦٣٥م / ١٨٧٢ – ١٩١٨م) ، مجلة البحث العلمي في الادب، مجلد ٩ ، العدد ١٩ .

٥- صابان ، سهيل اد .(٢٠١٦) . نظره عامة في السياسة العثمانية لتثبيت الحكم باليمن من واقع دفاتر المهمة ( ٩٦٧ – ٩٩٩ هـ/ ١٥٥٩ – ١٥٩١ م ) ، مجلة دراسات الشرق الاوسط لجامعة الفرات ، مجلد١-٢ .

٦- صالحية ، محمد عيسى .( ١٩٨٠ ) التدخل العثماني في اليمن ١٥٣٩ – ١٥٥٥م ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلد ٦ ، العدد ٢٤.

٧- جبري ، عمر . ( ٢٠١٤ ) . عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية ١٤٩٧ – ١٥٥٤م، رساله ماجستير غير منشورة ،جامعه الجزائر.

٨- الخطيب ، مصطفى عبدالكريم . ( ٢٠٠٣ ) . استقلال اليمن الاول عن الادارة العثمانية ،اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دمشق .

٩- شريفي ، بثينة .(٢٠٢٠) . اليمن خلال العهد العثماني من القرن ١٦ – ١٧ م ، رسالة ماجستير غير منشوره ،جامعه يحيى فارس المدية .

١٠-الطائي ، سيناء جاسم محمد . ( ٢٠٢٠ ) . موقف القوى السياسية من السيطرة العثمانية على اليمن ١٥٣٨ – ١٦٣٥م، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ، مجلد ١١، العدد ٤٥ ، ج ٢ .

١١-الجبوري ، رابحة محمد خضر عيسى . ( ٢٠١١ ) . القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس ١٥٦٧-١٥٧٤م . مجلة كلية تكريت للعلوم الإنسانية ، مجلد ١٨، العدد ١.

1- Masters , Bruce . ( 2013) . The Arabs of the Ottoman Empire, 1516–1918: A Social and Cultural History , Cambridge.
2- Smith , Clive . ( 2002 ) . Lightning Over Yemen: A History of the Ottoman Campaign in Yemen, 1569-71, III part , Riyadh .
3- ALLAHVERDİ,Reyhan ŞAHİN .( 12-15 MART 2015 ) . Yemen Tarihi Çalışmalarında “Fetih ve Fatihe” Bakış, I. ULUSLARARASI, OSMANLI’NIN I. HÂKİMİYET DÖNEMİNDE YEMEN (1517-1638) SEMPOZYUMU ,UŞAK ,TÜRKİYE.
4- Akgül, Önder Eren. (2014). Yemen as an Ottoman frontier and attempt to build a native army: Asakir-i Hamidiye. Sabancı University.
5- BAŞTÜRK, Sadettin. ( 2013 ) . YEMEN’DE OSMANLI-ZEYDÎ MÜCADELELERİNİN SEBEP VE SONUÇLARI , Fırat Üniversitesi Orta Doğu Araştırmaları Dergisi Cilt: IX, Sayı:1.
6- yeşılyurt ,Yahya .( 2007 ). Ali Emiri'nin yemen Hatırati, yüksek lisans Tezi, Atatürk Üniversitesi, Erzurum,.

## الهوامش

(١) سليمان باشا الخادم : احد خواص السلطان سليم الاول واحد المقربين منه ، كان من الخصيان الذين تربوا في القصر السلطاني بين الحريم ، وقد تولى حكم مصر عام ١٥٢٥م وقبلها كان واليا لولاية الشام ، وظل والي لمصر حوالي عشر سنوات ، وشارك في فتح بغداد سنة ١٥٣٤م ، ثم عاد لولاية مصر للمرة الثانية في كانون الثاني ١٥٣٧م ، واستمر بها حتى خرج في حملته المشهورة الى اليمن والهند في حزيران عام ١٥٣٨م ، وقد وصل الى اليمن والهند ثم عاد الى اسطنبول وبعد رجوعه من الهند تولى الوزارة سنة ١٥٣٨م ، ثم الصدارة العظمى سنة ١٥٤٠م ، وقد اعتزل السياسة بعد ذلك بناء على خلاف نشب بينه وبين احد الوزراء في الديوان السلطاني يدعى (خسر باشا) ، واكمل باقي حياته في تركيا وتوفي فيها .للتفصيل ينظر: (ماجد يحيى مجاهد لعجة ، الولاة العثمانيين في اليمن ١٥٣٨ – ١٦٣٥م ، اسطنبول، ٢٠٢٢، ص٣٨.)

(٢) اوزدمير باشا : كان احد المماليك الذين دخلوا في خدمة العثمانيين حين دخلوا مصر ، فارتقى في المناصب العسكرية والإدارية المختلفة ، ثم انضم لحملة سليمان باشا الخادم المتجهة للهند واليمن ، ثم عين كأول أمير عثماني على ميناء جيزان ، وبعد ذلك ارتقى المناصب العديدة حتى اصبح احد الامراء المشهورين بقوة شخصيته ، وسمعته الطيبة، اشتهر بالراي الصائب والتدبير الثاقب والشجاعة والاقدام ، عين واليا على اليمن خلال الفترة ( ١٥٤٩ – ١٥٥٥م) ويعد رابع الولاة العثمانيين الذين ينسب اليه الفتح العثماني الاول لليمن .للتفصيل ينظر : (أمة الملك اسماعيل قاسم الثور ، اليمن في عهد الواليين اوزدمير باشا وسنان باشا " دراسة تاريخية مقارنه" ،مجلة اداب الحديدية، العدد: ١٣، ٢٠٢٢،ص ٨٤.)

(٣) كان محمود باشا : من مماليك والي الشام محمد باشا فاعتقه في سنة ١٥٣٨م ، التقى محمود باشا بداود باشا الذي كان قادما من استانبول ليتقلد منصب ولاية مصر التي حكمها في الفترة ما بين ١٥٣٨ – ١٥٤٩م فقربة داوود باشا اليه ، ثم عينه وكيلا لأعماله ، وفي عهد والي مصر علي باشا ١٥٤٩– ١٥٥٤م تولى محمود باشا منصب امير الحج المصري خلال عامين ١٥٥٠ – ١٥٥١م ، وعندما وصل محمود الى منى في عيد الاضحى سنة ١٥٥١م اعلن للحجاج عزله لحاكم مكة المكرمة الشريف ابا نعي محمد بن بركات ،ويرجع ذلك الى ان محمود باشا قد سبق وان حضر لمكة المكرمة حاملا معه لباسا فاخرا (خلعه) من داوود باشا لابي نعي ، فلم يحفل ابو نعي به ونتج عن تصرف محمود هذا هجوم اللصوص وقطاع الطرق على الحجاج ، وبعدما سيطر ابو نعي على الموقف اخبر السلطان سليمان بما حدث من محمود ، فامر السلطان بصلب محمود لكن وساطة علي باشا والي مصر علاوة على وجود صلة قرابة بين محمود باشا والوزير محمد صقللي( اي ذو اللحية) الذي كان في استانبول قد ادى لا الى عفو السلطان سليمان عن محمود فحسب ، بل ومنحه مرتبة سنجق، وقد انتهت حياه محمود بقتلة في مصر سنه ١٥٦٨م . للتفصيل ينظر: ( تركي بن حميدان صالح الحميدان، نظم الحكم في اليمن في العصر العثماني الاول ٩٤٥ – ١٠٤٥ هـ/ ١٥٣٨ – ١٦٠٥م ، رسالة ماجستير غير منشوره ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٩، ٧٦.)

(٤) رضوان باشا : هو ابن والي اليمن السابق مصطفى باشا قره شاهين(١٥٥٦–١٥٦٠م) وكان رضوان باشا في سنة ١٥٦٠م اميرا للحج الشامي ، ثم عين نائبا على غزه في فلسطين حتى تم تعيينه واليا لليمن وكان يجيد اللغة الفارسية، وملما بأكثر الاحداث التاريخية ، كما كان يجيد الشعر وبناء عليه اهتم بعلماء اليمن واعتنى بهم .للتفصيل ينظر: ( المصدر نفسه ، ص٧٩.)

(٥) سنان باشا :هو احد ابرز القادة العثمانيين قدم الى الدولة العثمانية مع مجموعة من الشباب المجندين تحت نظام الدفشرمة ، اصبح في فترة حكم سليمان القانوني جاشيكر اي كبير الحملة ، ثم ترقى الى رتبه لواء .للتفصيل ينظر: (

بثينة شريفي، اليمن خلال العهد العثماني من القرن ١٦ ١٧م ، رساله ماجستير غير منشوره ،جامعه يحيى فارس المدية،٢٠٢٠ ،ص٥٤.)

(٦) لالا مصطفى باشا : عمل واليا على مصر (١٥٦٠-١٥٦٤م) ، و الشام (١٥٦٤-١٥٦٨م) ،وعين ايضا قائدا لفتح اليمن الا انه عندما وصل الى مصر تقاعس عن السير بأمل ان تضم له ولاية مصر ثانيه ، اضافه الى قياده الجيش ، فعزل وعين سنان باشا مكانه .للتفصيل ينظر: (سهيل صابان اد، نظره عامه في السياسة العثمانية لتثبيت الحكم باليمن من وقع دفاتر المهمة ٩٦٧ – ٩٩٩هـ /١٥٥٩ – ١٥٩١م ، مجله دراسات الشرق الاوسط لجامعة الفرات ، المجلد ١-٢ ، ٢٠١٦، ص ٨٤-٨٥.)

(٧) عثمان باشا ابن اوزدمير باشا من مماليك مصر ولد بها سنة ١٥٢٧م من امه المنسوبة للعباسيين ، والده فاتح صنعاء اوزدمير باشا التحق بالخدمة العسكرية منذ وقت مبكر ، ومن اهم مهامه الاولى ان عين اميرا للسنجق وتراي قافله الحج عام ١٥٦٠م اثناء ممارسته لعملة في السنجق ، واستمر اميرا لقافلة الحج المصري ثلاث سنوات ، وعين اميرا للأمراء في الحبشة التي كان ابوه اوزدمير باشا اميرا عليها ، وبقي في هذا المنصب سبع سنوات حتى عزل سنة ١٥٦٧م ، رسخ في اثناء ذلك الحكم العثماني فيها وبعد اربع سنوات عين اميرا للأمراء في صنعاء بعد تقسيم ولاية اليمن الى امارتين اليمن وصنعاء ، غير ان قيام الزيديين بقتل امير امراء اليمن مراد باشا ادى الى دمج الولايتين مجددا اذ عين عليها عثمان باشا وفي اثناء وجوده في اليمن عمل على منع تسلل البرتغاليين الى المنطقة، كما صارع القوات المحلية المناوبة للحكم العثماني فيها ، وفي الصراع الدائر بين امير امراء مصر مصطفى لالا باشا وبين سنان باشا ، ايد لالا باشا وهذا الاختيار ادى الى تحديد مستقبله ، عين اميرا للأمراء في الاحساء سنة ١٥٧١م وبعد سنة نقل الى البصرة اذ قاوم انتشار البرتغاليين في المنطقة، وقام بأعداد عده حملات على هرمز لكنه لم يقدر على منع تجارة البرتغاليين في المنطقة واتصالهم بقبائلهم، وعين اميرا للأمراء على ديار بكر سنة ١٥٧٦م ، كما ساهم في الحرب العثمانية- الصفوية على داغستان بقياده لالا باشا ، ثم عينه السلطان مراد صدرا اعظم للدولة العثمانية عام ١٥٨٤م وكلف بعد شهرين من تعيينه للحملة على القريم ، وفي اثناء قتاله ضد الصفويين مرض وتوفي في منزل اجي صو بالقرب من شنكي بازان الواقعة بجوار تبريز عام ١٥٨٥م . للتفصيل ينظر: (صابان ،المصدر السابق ،ص٨٥ .)

(٨) المطهر بن شرف الدين : الامير الكبير اشتهر بالشجاعة والحزم والاقدام والمهابة والسياسة والكياسة والرياسة ، كان من اعظم واقوى قادة والده الامام شرف الدين( بن شمس الدين بن الامام المهدي احمد بن يحيى) حارب العثمانيين في فترات طويلة وخاصة في عهد الواليين اوزدمير باشا وسنان باشا ، حصلت بينه وبين والده واخوته ، وحشه وعداوة بسبب ولاية العهد التي عهد بها والده الى اخيه علي بن الامام شرف الدين ، رفضها المطهر واعلن العداء والحرب ضد والده واخوته وتحصن في قلعه ثلا المنيعة ووقع بين المطهر واخيه شمس الدين عداوة وحروب حتى ال الامر الى ان اعتزل الامام في والده، وراسل السلطان سليمان القانوني وجرت بينه وبين العثمانيين حروبا خطوب كثيرة، ونال منهم ونالوا منه حتى وفاته سنة ١٥٧٣م ، وبعد وفاه تدهورت احوال ال شرف الدين وتفرقوا . للتفصيل ينظر: ( الثور ،المصدر السابق،ص٨٧.)

(٩) قلعة القاهرة : قلعة حصينة تشرف على مدينة تعز ، يرجع عمرانها الى القرن الخامس الهجري ، قيل ان من بناها هو الامير عبد الله بن محمد الصليحي ، وقد لعبت دورا مهما على مر التاريخ في حماية مدينة تعز ، و كان من يسيطر عليها يتحكم في مدينة تعز بسهولة . للتفصيل ينظر: ( لعجة، المصدر السابق ،ص٦٢.)

(١٠) حصن حب: بالفتح ثم تشديد ،حصن مشهور في جبل بعدان وصفه الهمداني بقولة "حصن حب من امنع معاقل، اليمن واصعبها مرتقى، وابعدها صيتا، وانظرها منظرا ، واذكرها شهرة لكثرة ما يدور حوله من احداث التاريخ، وهو منتصف في سرة الجبل بعدان كانه خطيب قوم التفت حولها القرى الزاهية والهضاب النظرة المكسوة بالأشجار والثمار اليانعة وهو مناوح (مجاور) لجبل التعكر من الشرق ، وكان مقل القيل يريم ذي رعين ". للتفصيل ينظر : (لعجة ، المصدر السابق ،ص ٨٦.)

(١١) حصن خدد: بفتح ثم كسر ، قلعة مشهورة من بلاد حبيش شمال مدينة اب . للتفصيل ينظر: (لعجة ،المصدر السابق ،ص١٣٠.)

(١٢) حصن ثلا: مدينة وحصن شمال غرب مدينة صنعاء تنسب الى ثلا بن لباخة، وهي من المدن التاريخية العامرة بالعلماء والمساجد المشهورة ، مثل مسجد المطهر بن الامام شرف الدين ، وبها الحصن التاريخي المشهور الذي يشتهر بمناعته وعلوه ويعد من حصون المطهر المشهورة التي تحصن فيها اثناء حروبة مع العثمانيين في الحكم العثماني الاول لليمن .للتفصيل ينظر: (الثور ، المصدر السابق، ص٨٧.)

(١٣) كوكبان : حصن ومعقل تاريخي مشهور يقع شمال شرق مدينة شبام ، ويطل على قاع المنقب ، ويحيط بالمدينة سور حصين ، والمدينة حصن قوي مبني على قمة الجبل .للتفصيل ينظر: ( المصدر نفسه ، ص٩٤.)

(١٤) بهرام باشا : هو ابن والي اليمن مصطفى باشا قره شاهين(١٥٥٦-١٥٦٠م)السابق ، كان احد الاشخاص الذين يرافقون حملة سنان باشا الى اليمن و تم تعيينه واليا لليمن سنة ١٥٧٠ – ١٥٧٥م ، وبعد عزله توفي في مصر سنة ١٥٧٧م. للتفصيل ينظر: حميدان ، المصدر السابق، ص٩٢ ؛ ( لعجة ، المصدر السابق، ص١٤٥.)